# الأشهر الحرم وصلتها بالحج قبل الإسلام وبعده

## - دراسة تاريخية في ضوء المصادر الجاهلية -

**عليرضا طبيبي (الكاتب المسؤول)**
أستاذ، قسم القرآن والحديث، عضو هيئة التدريس في كلية المعارف والفكر الإسلامي، جامعة طهران، إيران
tabibi.alireza@ut.ac.ir
**هدى علي عبد الله الطائي**
طالبة دكتوراه، التاريخ الإسلامي، كلية المعارف والفكر الإسلامي، جامعة طهران، إيران
hudaaliabdullahaltaei@gmail.com

# The Sacred Months and Their Connection to Hajj Before and After Islam - A Historical Study in Light of Pre-Islamic Sources

**Dr. Alireza Tabibi (Responsible writer)**
Professor , Department of the Qur'an and Hadith , Faculty Member at the Faculty of Islamic Knowledge and Thought , University of Tehran , Iran
**HUDA ALI ABDULLAH AL-TAIE**
PhD Student , Islamic History , Faculty of Islamic Knowledge and Thought, University of Tehran , Iran

## الملخص:-

قبل الإسلام، كانت العرب في الجاهلية تعتمد على التقويم القمري، وكان للأشهر القمرية دور كبير في حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية، ومن بين هذه الأشهر، كانت هناك أربعة أشهر تُسمى "الأشهر الحرم"، وهي: ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، ورجب، وهي أشهر تحظر فيها الحروب والقتال وفقًا لأعراف القبائل، كانت هذه الأشهر مخصصة للعبادة والأنشطة الدينية، إذ كانت القبائل تتحاشى الصراع خلالها وتخصص هذه الفترة لأداء مناسك الحج في مكة، وكان العرب يقيمون الطواف حول الكعبة وتقديم القرابين، مما جعل هذه الأشهر تمثل فرصة للتطهر الروحي والتقرب إلى الآلهة، علاوة على ذلك، كانت الأشهر الحرم تحمل أهمية اقتصادية، حيث توفر فترة من الاستقرار النسبي بين القبائل، مما يسمح بالتجارة والتواصل بين المناطق المختلفة، فكانت القوافل التجارية تسلك طرقًا آمنة خلال هذه الأشهر، ما يساهم في تعزيز الحركة التجارية بين مكة واليمن، وكذلك بين الحجاز والشام والعراق، كما مثّلت هذه الأشهر أيضًا فترة للتهيؤ للتوسع أو الغزو بعد انقضائها، مع الالتزام بالعادات التي تحظر القتال خلالها، إضافة إلى ذلك كانت الأشهر الحرم تسهم في تسوية الخلافات بين القبائل، حيث يتم تجنب القتال وتهدئة المنازعات، مما يضمن السلام والتوازن الاجتماعي، وعندما جاء الإسلام، أكد القرآن الكريم حرمة الأشهر الحرم، واعتبرها جزءًا من الشعائر الدينية التي يرتبط فيها الحج والطاعة، ما جعلها تستمر كجزء أساسي من التقاليد الإسلامية، فحملت الأشهر الحرم في الجاهلية بُعدًا دينيًا واقتصاديًا مهمًا، إذ شكلت عنصرًا أساسيًا في تنظيم الحياة القبلية قبل الإسلام.


**الكلمات المفتاحية:** الأشهر الحرم، العرب قبل الإسلام، الحج، التجارة في الجاهلية، المواسم الدينية.


## Abstract:-

Before Islam, the Arabs in the pre-Islamic era relied on the lunar calendar, and the lunar months played a major role in their religious, social and economic life. Among these months, there were four months called the "Sacred Months", namely: Dhu al-Qi'dah, Dhu al-Hijjah, Muharram, and Rajab. These months were months in which wars and fighting were prohibited according to tribal customs. These months were dedicated to worship and religious activities, as the tribes avoided conflict during them and allocated this period to performing the Hajj rituals in Mecca. The Arabs performed the circumambulation around the Kaaba and offered sacrifices, which made these months an opportunity for spiritual purification and getting closer to the gods. In addition, the sacred months had economic importance, as they provided a period of relative stability among the tribes, allowing trade and communication between different regions. Trade caravans used to take safe routes during these months, which contributed to strengthening trade movement between Mecca and Yemen, as well as between the Hijaz, the Levant and Iraq. These months also represented a period of preparation for expansion or invasion after their expiration, while adhering to customs that prohibit fighting during them. In addition, the months The sanctuary contributes to settling disputes between tribes, as fighting is avoided and disputes are calmed, which ensures peace and social balance. When Islam came, the Holy Quran confirmed the sanctity of the sacred months, and considered them part of the religious rituals in which pilgrimage and obedience are linked, which made them continue as an essential part of Islamic traditions. The sacred months in the pre-Islamic era carried an important religious and economic dimension, as they constituted a basic element in organizing tribal life before Islam.


**Key words:** The sacred months , Arabs before Islam , Hajj , trade in the pre-Islamic era , religious seasons.

## المقدمة:

لعبت الأشهر الحرم دوراً محوريًا في حياة العرب قبل الإسلام، حيث كانت جزءًا أساسيًا من نظامهم الديني والاجتماعي والاقتصادي، فقد اعتمد العرب على التقويم القمري في تنظيم شؤونهم الحياتية، وكانت الأشهر الحرم (ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، ورجب) تحظى بمكانة خاصة لما لها من تأثير مباشر على حركة التجارة، العلاقات القبلية، والممارسات الدينية، فاتسمت هذه الأشهر بتحريم القتال بين القبائل، مما أتاح فترات من السلم النسبي الذي استغلته القبائل لتعزيز التبادل التجاري وعقد الاتفاقيات، وهو ما ساهم في نشوء مراكز تجارية هامة مثل مكة التي ازدهرت اقتصاديًا نتيجة لهذه العادات، كما أن ارتباط هذه الأشهر بمواسم الحج كان له بعد ديني واضح، حيث كانت القبائل تتوافد إلى مكة لأداء طقوسها الدينية التي تضمنت الطواف حول الكعبة وتقديم القرابين، مما عزز البعد الروحي لهذه الأشهر، وإلى جانب البعد الديني، شكلت الأشهر الحرم عاملًا مهمًا في استقرار النظام القبلي، إذ مثلت فرصة لعقد المعاهدات وحل النزاعات بعيدًا عن العنف، مما ساعد على حفظ التوازن الاجتماعي بين القبائل المتنافسة، وعلى الرغم من أن بعض القبائل حاولت التحايل على هذا النظام من خلال "النسيء"، وهو تأجيل الأشهر الحرم أو تبديل ترتيبها، إلا أن الفكرة الأساسية لتحريم القتال بقيت ذات تأثير واضح في الحياة الجاهلية، ومع ظهور الإسلام، أعاد الدين الجديد تنظيم مفهوم الأشهر الحرم، مؤكدًا حرمتها في القرآن الكريم ومكرسًا أهميتها ضمن الشعائر الإسلامية، لا سيما من خلال ربطها بالحج، أحد أركان الإسلام الخمسة.

بناءً على ما سبق، سيتم خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على مفهوم الأشهر الحرم في الجاهلية، واستكشاف أبعادها الدينية والاقتصادية والاجتماعية، وتحليل دورها في بناء هوية العرب قبل الإسلام، كما ستناقش الدراسة كيفية استمرارية هذا التقليد بعد ظهور الإسلام، مما يعكس التداخل العميق بين العادات الجاهلية والتعاليم الإسلامية، ويوضح دور هذه الأشهر في تشكيل النسيج الاجتماعي والاقتصادي لشبه الجزيرة العربية.

**أهمية البحث:**

تمثل الأشهر الحرم جزءًا أساسيًا من النظام الديني والاجتماعي للعرب قبل الإسلام، حيث كان لها تأثير واضح على العلاقات القبلية، النشاط التجاري، والممارسات الدينية، كما أن هذه الأشهر استمرت في الإسلام مع إعادة تنظيم وظيفتها الدينية، مما يجعل دراستها ضرورية لفهم استمرارية بعض التقاليد الجاهلية في السياق الإسلامي، ويساهم هذا البحث في إثراء الدراسات المتعلقة بالتاريخ الديني والاجتماعي لشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ويوضح الأبعاد المختلفة للأشهر الحرم وتأثيرها في تشكيل أنماط الحياة الجاهلية.

**هدف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأشهر الحرم في العصر الجاهلي وتحليل أهميتها الدينية، الاقتصادية، والاجتماعية، إلى جانب استكشاف مدى تأثيرها على تنظيم العلاقات بين القبائل، كما يسعى البحث إلى توضيح كيفية انتقال هذا المفهوم إلى الإسلام، وما إذا كانت هناك تغييرات جوهرية في وظائف الأشهر الحرم بعد ظهور الدين الإسلامي.

**مشكلة البحث:**

على الرغم من أهمية الأشهر الحرم في حياة العرب قبل الإسلام، فإن الدراسات التاريخية لم تولها اهتمامًا كافيًا فيما يتعلق بوظائفها المتعددة وتأثيرها على بنية المجتمع الجاهلي، لذا تتمحور مشكلة البحث حول فهم الدور الذي لعبته هذه الأشهر في الحفاظ على السلم بين القبائل، تنظيم التجارة، وتعزيز الطقوس الدينية، مع تحليل استمرار هذا المفهوم بعد الإسلام.

**السؤال الرئيسي:**

ما الدور الذي لعبته الأشهر الحرم في تشكيل الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية للعرب قبل الإسلام، وكيف استمر هذا الدور في ظل التعاليم الإسلامية؟

**الأسئلة الفرعية:**

١- ما الأسس الدينية والاجتماعية التي جعلت الأشهر الحرم ذات قدسية عند العرب قبل الإسلام؟

٢- كيف أثرت الأشهر الحرم على النشاط التجاري وتنظيم العلاقات القبلية؟

٣-كيف تعامل العرب مع القيود المفروضة على القتال خلال هذه الأشهر؟

٤- ما التحولات التي طرأت على مفهوم الأشهر الحرم بعد ظهور الإسلام؟

٥- ما أوجه الاستمرارية والتغير في وظيفة الأشهر الحرم بين الجاهلية والإسلام؟

**منهج البحث:**

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، حيث يتم استعراض المصادر التاريخية المتعلقة بالأشهر الحرم في الجاهلية والإسلام، مع تحليل النصوص الدينية والأدبية التي تناولت هذا الموضوع. كما سيتم استخدام المنهج الوصفي لدراسة الأثر الاجتماعي والاقتصادي لهذه الأشهر، إلى جانب المنهج المقارن الذي يقارن بين مفهوم الأشهر الحرم في الجاهلية والإسلام، موضحًا أوجه التغيير والاستمرارية. يعتمد البحث على مصادر تاريخية أولية مثل كتب التراث الإسلامي والمصادر الأدبية الجاهلية، بالإضافة إلى الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الموضوع من منظور تاريخي وديني.

## المبحث الأول

## البعد الديني للأشهر الحرم في الجاهلية

اكتسبت الأشهر الحرم قدسية خاصة في المعتقدات الجاهلية، حيث ارتبطت بطقوس الحج والعبادة، وكانت هذه الأشهر فترة مخصصة للتقرب إلى الآلهة من خلال تقديم القرابين، والطواف حول الكعبة، وعدم القتال في الاشهر الحرم ونحو ذلك[١]، وكان العرب يؤمنون بأن احترام هذه الأشهر يجلب لهم البركة، في حين أن انتهاكها قد يؤدي إلى عقاب الآلهة، كما كان يُعتقد أن هذه الفترات الزمنية تتيح للعرب فرصة التكفير عن الذنوب وإعادة التوازن الروحي من خلال أداء الشعائر الدينية، وعلى الرغم من أن هذه الممارسات لم تكن موحدة بين جميع القبائل، إلا أن معظمها التزمت بهذه العادات، مما ساهم في ترسيخ مكانة الأشهر الحرم ضمن النظام الديني الجاهلي، كانت بمثابة هدنة أقرها العرب قبل الإسلام في هذه الأشهر[٢].

وقد أشار الشعراء الجاهليون إلى قدسية هذه الأشهر من خلال أشعارهم التي عبّرت عن الامتناع عن القتال وتعظيم البيت الحرام خلال هذه الفترات، ومن ذلك ما قاله زهير بن أبي سلمى[٣]:

ألا أبلـــغ الأحـــلاف عـــني رســـالة ... وذبيـــان هـــل أقســـمتم كـــل مقســـم

فـــلا تَكـــتُمنَّ اللّه مَـــا فِي نُفُوســـكُم ... لِيَخفَـــى ومَهمـــا يكْـــتم اللّه يعلـــم

يُـــؤخِّر فيُوضَـــع فِي كتـــابٍ فيـــدّخر ... ليـــومِ الحســـابِ أو يُعجّـــل فَيـــنقم[٤]

فكان العرب في الجاهلية يعتقدون أن هناك أوقاتًا مقدسة لا يجوز فيها انتهاك الحرمات، ومن بين هذه الأوقات الأشهر الحرم التي نصت عليها التقاليد القبلية المتوارثة، وقد جاء في بعض المرويات الجاهلية أن انتهاك هذه الأشهر كان يُعدّ سببًا في جلب غضب الآلهة، حيث كانت القبائل تتوقف عن القتال احترامًا لهذه الفترات، وقد أشار الحارث بن حلزة في معلقته إلى ذلك بقوله:

إذ رفعنـــا الجمـــال مـــن ســـعف البحـــ ... ريـــن ســـيرا حـــتى نهاهـــا الحســـاء

ثم ملنـــا علـــى تمـــيم فأحرمـــ ... نـــا وفينـــا بنـــات قـــوم إمـــاء[٥]

كما تشير الروايات التاريخية إلى أن العرب قبل الإسلام كانوا يعظمون البيت الحرام في مكة، وكانوا يقومون بالحج خلال الأشهر الحرم، وهو ما يعكس تقديسهم لهذه الفترات، وقد ورد في كتاب "المحبر" لابن حبيب أن القبائل العربية كانت تتخذ من الأشهر الحرم فرصة لتقديم الأضاحي والقرابين، حيث كان القربان يُذبح ويُرش دمه عند البيت الحرام تقربًا للآلهة فكانوا يعظمون الأشهر الحرم[٦].

وكان الحج قبل الإسلام طقسًا دينيًا مهمًا، لكنه كان يختلف في بعض جوانبه عن الحج الإسلامي، كانت القبائل تتوافد إلى مكة خلال الأشهر الحرم، حيث يُمنع القتال وتُتاح الفرصة للقبائل المختلفة لأداء شعائرها، وتشير بعض المصادر الجاهلية إلى أن قريش لعبت دورًا مركزيًا في إدارة الحج وتنظيم شعائره، حيث كانت توفر الأمن للحجاج وتضمن عدم اندلاع النزاعات فأصبح الناس عامة ينظرون إلى قريش نظرة فيها الكثير من الاحترام والتقديس[٧].

كما أن قريش كانت تستغل مكانة مكة الدينية لجذب العرب إلى الحج، وعمدت إلى تعديل بعض التقاليد الدينية بما يتناسب مع مصالحها، ومن ذلك إدخال عادة "النسيء"[٨] التي سمحت لبعض القبائل بتغيير ترتيب الأشهر الحرم لمتابعة الحروب عند الحاجة، وقد أدان القرآن الكريم هذه الممارسة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٩]، حيث اعتبر التلاعب بالأشهر الحرم خرقًا للعهد الإلهي، وكانت القبائل الجاهلية ترى في الأشهر الحرم فرصة لنيل البركة والتكفير عن الذنوب، وكان بعض العرب يعتبرون الحج وسيلة لمحو الآثام واسترضاء الآلهة، نجد إشارات إلى أن بعض الجاهليين، خاصة من قريش، كانوا يحاولون استغلال هذه الفترات لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية، وهو ما يعكس التناقض بين الممارسة الدينية والمصالح القبلية، فبعض زعماء قريش كانوا يُلزمون الناس باحترام الأشهر الحرم عندما يكون ذلك مفيداً لهم، لكنهم في الوقت نفسه كانوا يسمحون لأنفسهم بانتهاكها عند الحاجة[١٠]، يتضح من خلال ما سبق أن الأشهر الحرم لم تكن مجرد فترات زمنية تحظى بالاحترام، بل كانت جزءًا من النظام الديني والاجتماعي للعرب قبل الإسلام، وقد شكلت هذه الأشهر أوقاتًا للتعبد والطواف حول الكعبة، كما كانت فرصة لتجنب النزاعات وإقامة التحالفات بين القبائل، ومع ذلك، فقد استغلت قريش هذه الأشهر لتحقيق مكاسبها، مما استدعى تصحيح مفهومها بعد ظهور الإسلام.

## المبحث الثاني

## الدور الاقتصادي للأشهر الحرم

إلى جانب بعدها الديني، ساهمت الأشهر الحرم بشكل كبير في تنشيط التجارة بين القبائل العربية، حيث شكلت فترات آمنة لعبور القوافل التجارية دون خوف من الغارات القبلية، فقد وفرت هذه الأشهر بيئة مناسبة لنمو الأسواق الكبرى مثل سوق عكاظ[١١] وسوق ذي المجاز[١٢]، حيث كانت القبائل تتجمع لتبادل السلع وإبرام الاتفاقيات التجارية، وقد أشار المؤرخون إلى أن هذه الأسواق لم تكن مجرد مراكز للبيع والشراء، بل كانت أيضًا منابر سياسية وثقافية، حيث يجتمع فيها زعماء القبائل لعقد التحالفات ومناقشة

شؤونهم، ومن هنا فإن دور الأشهر الحرم لم يكن مقتصراً على الجانب الديني، بل امتد ليشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية أيضًا، وهو ما يمكن أن نراه في اهتمام قريش بهذه الفترات واستغلالها لصالح نفوذها السياسي والتجاري، فقد استفادت مكة بوصفها مركزًا دينيًا، من هذه الفترات إذ كانت تستقطب أعدادًا كبيرة من الحجاج والتجار على حد سواء، وورد في بعض الروايات أن قريشًا لعبت دورًا محوريًا في ترسيخ فكرة الأمن التجاري خلال الأشهر الحرم، حيث أبرمت العديد من الاتفاقيات مع القبائل لضمان حماية القوافل التجارية التي تمر عبر أراضيها، مما ساعدها على تعزيز مركزها الاقتصادي، وقد ذكرت التفاسير والمصادر أن تجارة مكة كانت تقوم على الاستفادة من الأمان الذي وفرته هذه الأشهر، حيث كان أهلها يجمعون بين النشاط التجاري والتوافد الديني للحج[١٣]، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١٤]، وهذا يدل على أن استقرار التجارة في مكة كان مرتبطًا إلى حد كبير بقدسية هذه الأشهر وبالأمان الذي كانت توفره. وقد كانت هذه الفترات فرصة ذهبية للشعراء والخطباء لاستعراض مواهبهم، حيث كانوا يتنافسون في سوق عكاظ ويلقون قصائدهم التي خلدت قيم العرب وتاريخهم، ومن أبرز الشعراء الذين أشاروا إلى أهمية الأسواق في الأشهر الحرم، الشاعر النابغة الذبياني، حيث قال في أحد محافل عكاظ:

هم درعي التي استلأمت فيها ... إلى أهل النسار وهم مجني

وهم وردوا الجفار على تميم ... وهم أصحاب يوم عكاظ إني

شهدت لهم مواطن صادقات ... أتيتهم بود الصدر مني[١٥]

وفي هذا إشارة إلى أن الأسواق في الأشهر الحرم لم تكن مجرد أماكن للتجارة، بل كانت أيضًا ساحات للفكر والأدب، حيث ازدهرت الخطابة والشعر والمفاخرات القبلية.

## المبحث الثالث

## الأشهر الحرم والعلاقات القبلية في الجاهلية

أسهمت الأشهر الحرم في تحقيق نوع من الاستقرار الاجتماعي، حيث كانت تُعدّ فترات

مقدسة تمتنع فيها القبائل عن القتال، مما أتاح فرصة لإقامة التحالفات وعقد المصالحات وتسوية النزاعات القبلية التي كانت تؤرق المجتمع الجاهلي، فقد كان احترام هذه الأشهر تقليداً متوارثًا يعكس حرص العرب على احترام المواثيق، ولذلك قال الأعشى في رجل خرج في شهر حرام، ثم هم الشهر بالانفصال وهو لم يصل إلى أهله، فاعتصم برجل أجاره وحماه، فقال له الرفاد:

أتعجب أن أوفيت للجار مرة ... فنحن لعمري اليوم من ذاك نعجب

فقبلك ما أوفى الرفاد لجاره ... فأنجاه مما كان يخشى ويرهب

تداركه في منصل الأل بعدما ... مضى غير دأداء وقد كاد يعطب[١٦]

و"منصل الأل" في الأبيات السابقة هو شهر رجب فكانوا يمتنعون فيه من الحرب والغارة تعظيماً له، فينصلون أسنة رماحهم[١٧].

ورغم ذلك لم يكن الالتزام بتحريم القتال خلال هذه الأشهر مطلقًا، فقد لجأت بعض القبائل إلى "النسيء"، وهو تأجيل أو تقديم الأشهر الحرم وفقًا لمصالحها، كما ذكرنا سابقاً، وقد أدان الإسلام هذه الممارسة بشدة، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[١٨]، وفي تفسير هذه الآية، أشار العلامة الشيرازي إلى أن قريشًا كانت تستخدم النسيء كوسيلة للتحايل على حرمة القتال، فكانوا يحركون الأشهر الحرم حسب أهوائهم، فقال:" فقد كان أهل الجاهلية إذا كانوا في حرب فهلّ محرم أحلّوه وحرّموا مكانه صفراً، فإنهم كانوا كفاراً، وتحليل ما حرّم الله زيادة في كفرهم"[١٩]،

وبهذا، يتضح أن الأشهر الحرم لم تكن مجرد تقليد جاهلي، بل كانت جزءًا من نظام إلهي يهدف إلى تحقيق السلم والاستقرار، سواء على المستوى الاجتماعي أو الروحي أو الاقتصادي.

## المبحث الرابع

## الأشهر الحرم في الإسلام

بعد ظهور الإسلام تم تصحيح بعض المفاهيم المتعلقة بالأشهر الحرم، حيث أكد القرآن الكريم على قدسيتها وأعاد لها معناها الصحيح بعيداً عن استغلال قريش وممارساتها غير

المنسجمة مع التعاليم الإلهية، فجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾[٢٠]، ويروى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله، أيحل القتل في الشهر الحرام، فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾[٢١]، فقال: القتال في الشهر الحرام عظيم"[٢٢]، وهذا يعكس الفهم الإسلامي الذي يرى أن الأشهر الحرم ليست مجرد تقليد جاهلي، بل هي جزء من التشريع الإلهي الذي أقره الإسلام لحفظ السلم ونشر العدل، ويعزز هذا المفهوم حديث الإمام الكاظم عليه السلام الذي نقل عنه قوله:" من صام أول يوم من عشر ذي الحجة كتب الله له صوم ثمانين شهرا، فإن صام التسع كتب الله عز وجل له صوم الدهر"[٢٣]، وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال: "قلت لأبي: لم صار الطواف سبعة أشواط؟ قال: لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة فردوا على الله تبارك وتعالى و﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ قال الله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وكان لا يحجبهم عن نوره، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة، فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الذى في السماء الرابعة فجعله مثابة وأمنا، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمنا، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكل ألف سنة شوطاً واحداً"[٢٤]، وبالرغم من كل ذلك، فقد ظل الاحترام العام للأشهر الحرم حاضراً في نفوس العرب حتى بعد ظهور الإسلام، حيث استمر هذا التقليد في حفظ الأمن والاستقرار، بل وأصبح جزءاً من التشريع الإسلامي الذي يحفظ السلم بين المسلمين، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "لا تحلوا شعائر الله و لا الشهر الحرام فجعل الشهور عدة معلومة، وجعل منها أربعة حرما"[٢٥]، وبهذا يتضح أن الأشهر الحرم لم تكن مجرد فترات دينية، بل كانت تمثل محركًا اقتصاديًا أساسيًا حافظ على ازدهار النشاط التجاري في الجزيرة العربية، كما أنها ساهمت في تحقيق السلم الاجتماعي والاستقرار السياسي، وهو ما عزز مكانتها في الوعي العربي قبل الإسلام وبعده، كما تعزز البعد الروحي للأشهر الحرم، فعن الإمام الرضا عليه السلام: "من صام من رجب يوماً واحداً من أوله أو وسطه أو آخره أوجب الله له الجنة وجعله معنا في درجتنا يوم القيمة"[٢٦]، إذ أعاد الإسلام للأشهر الحرم معناها الصحيح، فأصبحت جزءاً من التشريع الإسلامي الذي يحفظ الأمن، ويضمن استمرارية

العبادة، ويحول دون التلاعب بأحكام الله وفق المصالح القبلية، وهكذا يتبين تأكيد القرآن الكريم والأئمة المعصومون عليهم السلام على القدسية الحقيقية للأشهر الحرم وأهميتها في حفظ النظام الإلهي.

## الخاتمة:

في ختام هذا البحث حول الأشهر الحرم وصلتها بالحج قبل الإسلام وفق دراسة تاريخية في ضوء المصادر الجاهلية فقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها:

- بيّنت الدراسة أن الأشهر الحرم جزء من النظام الديني والاجتماعي إذ لعبت الأشهر الحرم دوراً محوريًا في تنظيم حياة العرب قبل الإسلام، حيث كانت تُقدَّس وتُحترم لما لها من أهمية في الطقوس الدينية، خاصة فيما يتعلق بالحج والطواف حول الكعبة.
- أظهرت الدراسة تأثير الأشهر الحرم على العلاقات القبلية إذ ساهمت هذه الأشهر في تحقيق فترات من السلم والاستقرار بين القبائل، حيث كان يُمنع القتال خلالها، مما أتاح فرصًا لحل النزاعات وإقامة التحالفات.
- أوضحت الدراسة دور الأشهر الحرم في تنشيط الحركة التجارية فقد مثلت الأشهر الحرم فرصة لازدهار التجارة، إذ استفادت القوافل التجارية من الأمان النسبي خلال هذه الفترات، مما عزز الروابط الاقتصادية بين مناطق شبه الجزيرة العربية.
- بيّنت الدراسة التحولات التي طرأت على مفهوم الأشهر الحرم بعد الإسلام فقد أكد الإسلام على حرمة الأشهر الحرم، لكنه أضفى عليها بُعداً تشريعيًا أكثر تنظيمًا، حيث حدد حالات القتال فيها وأعاد ربطها بمناسك الحج وفق تعاليم الشريعة الإسلامية.
- أظهرت الدراسة الاستمرارية والتغيير بين الجاهلية والإسلام فعلى الرغم من أن الأشهر الحرم كانت تقليداً متبعًا في الجاهلية، فإن الإسلام أقرّها مع تعديلات تتناسب مع القيم الدينية الجديدة، مما يدل على التداخل بين التقاليد الجاهلية والتعاليم الإسلامية.

- أوضحت الدراسة أهمية دراسة الأشهر الحرم في السياق التاريخي إذ يساعد البحث في الأشهر الحرم على فهم البنية الاجتماعية للعرب قبل الإسلام، كما يوضح كيفية استمرار بعض العادات الجاهلية بعد الإسلام، مما يُثري الدراسات التاريخية المتعلقة بالتحولات الدينية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية.

## التوصيات:

١. يُوصى بإجراء المزيد من الأبحاث حول دور الأشهر الحرم في تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية للعرب قبل الإسلام، مع تحليل أوجه التشابه والاختلاف في وظيفتها بعد ظهور الإسلام.

٢. ضرورة توسيع البحث حول كيفية استغلال العرب للأشهر الحرم في تعزيز التجارة وتأمين طرق القوافل، مما قد يُسهم في فهم تطور الأسواق التجارية الكبرى مثل مكة والمدينة.

٣. يُنصح بالاعتماد على دراسة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، إلى جانب المصادر الأدبية الجاهلية، لفهم كيفية تعامل العرب مع هذه الأشهر ومدى التزامهم بقواعدها.

٤. يمكن استلهام فكرة الأشهر الحرم في تعزيز قيم السلم والتعاون بين الشعوب، من خلال استثمارها كنموذج تاريخي لحل النزاعات وتعزيز فترات الهدنة في المناطق التي تشهد صراعات.

٥. يُوصى بإدراج موضوع الأشهر الحرم في المناهج الدراسية للعلوم الإسلامية والتاريخ، لتمكين الطلاب من فهم دورها في تشكيل النظام الاجتماعي والاقتصادي للعرب قبل الإسلام وبعده.

## هوامش البحث

(١) الشريف الرضي، المجازات النبوية، ج١، تح: طه محمد الزيني، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدسة، ص١٣٩.

(٢) صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ج١، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة، ١٤٣١ه، ص٨٨.

(٣) زهير بن أبي سلمى: ربيعة بن رياح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة، وكان زهير جاهليا لم يدرك الإسلام، وأدركه ابناه بجير وكعب الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أهدر دمه لأبيات قالها . ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلم وقال قصيدته المشهورة التي مطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول . ينظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ج١، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ص١٤١؛ قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٣، مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الاولى، ١٤٠٩، ص٢٣.

(٤) حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص١٤٢.

(٥) حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، شرح المعلقات السبع، ص٢٦٩.

(٦) محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، المحبر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٤٢، ص٣١٩.

(٧) جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ج٢، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٥، ص٢٦.

(٨) النسيء: يعني تأخير أشهر الحرم عن موضعه وتبديله بشهر آخر يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً. ينظر: حسن بن علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ه، ص٣٤.

(٩) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية ٣٧.

(١٠) علي بن الحسين شريف المرتضى، أمالي السيد المرتضى في التفسير والحديث والأدب، ج٢، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ايران، الطبعة الأولى ١٩٨٢، ص٣٢.

(١١) سوق عكاظ: سوق عامة من أسواق العرب في الجاهلية، كانت تجتمع فيها القبائل مدة عشرين يوما في شهر ذي القعدة كل سنة بموضع بين نخلة والطائف، يبعد عن مكة ثلاثة أيام، وكان الشعراء يحضرون سوق عكاظ ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر. ينظر: عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ه، ص٢٤٣.

(١٢) ذي المجاز: موضع عند عرفات ويقال بمنى كان يقام به سوق العرب في الجاهلية. ينظر: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٢، دار الكتب الإسلامية، إيران،١٣٩٠ه، ص١٧٥.

(١٣) محمد الحسيني الشيرازي، تبيين القرآن، ج١، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، كربلاء المقدسة، الطبعة الأولى١٣٨٩، ص٥١.

(١٤) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ٩٧.

(١٥) الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي، الأخبار الموفقيات، تح: سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦، ص٣٠.

(١٦) أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، الحلل في شرح أبيات الجمل، تح: مصطفى إمام، القاهرة، ١٩٧٨، ص١٥.

(١٧) ابن دحية الكلبي عمر بن حسن الأندلسي، أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب، تح: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص١٥.

(١٨) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية ٣٧.

(١٩) محمد الحسيني الشيرازي، تبيين القرآن، ج١، ص٥١.

(٢٠) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢١٧.

(٢١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢١٧.

(٢٢) ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج١١، مؤسسة آل البيت (ع ) لإحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ٨٠٤١ه، ص٣٨.

(٢٣) الصدوق أبى جعفر محمد بن على بن الحسين القمي ابن بابويه، من لا يحضره الفقيه، ج٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ص١٢٩.

(٢٤) محمد بن علي بن بابويه الصدوق، علل الشرائع، ج٢، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، ١٩٦٦م، ص٤٠٧.

(٢٥) هاشم الحسيني البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج٢، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ص٣٠٦.

(٢٦) أحمد الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الاذهان، ج٥، تح: آقا مجتبى العراقي، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة، ص٥١.

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. ابن دحية الكلبي عمر بن حسن الأندلسي، أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب، تح: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

٢. أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلامية، إيران، ١٣٩٠هـ.

٣. أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، الحلل في شرح أبيات الجمل، تح: مصطفى إمام، القاهرة، ١٩٧٨.

٤. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٥. أحمد الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الاذهان، تح: آقا مجتبى العراقي، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة.

٦. جعفر مرتضي العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٥.

٧. حسن بن علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٨. حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

٩. الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي، الأخبار الموفقيات، تح: سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

١٠. الشريف الرضي، المجازات النبوية، تح: طه محمد الزيني، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.

١١. صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة، ١٤٣١هـ.

١٢. الصدوق أبى جعفر محمد بن على بن الحسين القمي ابن بابويه، من لا يحضره الفقيه، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.

١٣. علي بن الحسين شريف المرتضى، أمالي السيد المرتضى في التفسير والحديث والأدب، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ايران، الطبعة الأولى ١٩٨٢.

١٤. عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٥. قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الاولى، ١٤٠٩هـ.

١٦. محمد الحسيني الشيرازي، تبيين القرآن، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، كربلاء المقدسة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩ه.

١٧. محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، المحبر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٤٢.

١٨. محمد بن علي بن بابويه الصدوق، علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، ١٩٦٦م.

١٩. ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ٨٠٤١هـ.

٢٠. هاشم الحسيني البحراني، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، قم المقدسة.